النّظرية الدّينيّة لفكر الإرهاب الدّولى فى ضوء السّيرة النّبويّة

*الدكتور فيض الله البغدادى

Abstract

It is an undoubted fact that terrorism has nothing to do with Islam. All teachings of the Prophet (blessings and peace be upon him) are contrary to any kind of extremism, radicalization and terrorism. Although the Prophet (blessings and peace be upon him) and his Companions faced injustice, persecution and terrorism directly by the disbelievers of Mecca and were forced to leave their homeland, yet, they always treated very peacefully and never demonstrated any kind of extremism. When the Prophet (blessings and peace be upon him) established the first state of Islam in Medina, it faced many atrocities and conspiracies by its enemies, but Muslims never chose the path of injustice and terrorism even against its worst enemies. Muslims always preferred peace treaties and covenants with everyone, so that people can live peacefully. The life of the Prophet (blessings and peace be upon him) is a practical model of moderation, integration and harmony.

In this article, we will shed light on the religious view of international terrorism in the light of the Prophet's biography. Starting with the detailed definition of terrorism, we will discuss this word from a political perspective also. Then we will move towards the international scenario and would point out that how some countries are committing the phenomenon of terrorism to achieve their goals.

In the end, we will give some examples from the Prophet's biography to address the phenomenon of terrorism, extremism, and to establish the atmosphere of tolerance and harmony. We will also discuss that how Islamic state faced international terrorism by Meccans and some tribes, and how Muslims countered it in a peaceful way.

Then we will discuss that terrorism has nothing to do with Islam, nor with the teachings of the Prophet Muhammad (blessings and peace be upon him). Those who use the name of Islam to spread extremism and terrorism, have nothing to do with Islam. Islam does not allow anyone to commit any kind of terrorism. Some Qur'anic rulings will also be presented to highlight the promotion of virtue and the prevention of vice, and the political and democratic struggle against injustice and oppression.

---

*الأستاذ المساعد جامعة المنهاج لاهور

There are also some advice to Muslims living in non-Muslim countries that they must obey the laws of that country and contribute positively.
Keywords: extremism, terrorism, international, Medina, Islam, Qur'an

هذا ممّا لا شكّ فيه أنّ الإرهاب لا علاقة لأيّ نوع منه بالإسلام. وجميع تعليمات النّبي ﷺ تخالف أيّ نوع من التّطرف والغلو والإرهاب. وأنّ النّبيّ ﷺ وأصحابه واجهوا الظّلم والاضطهاد والإرهاب بعد بعثته ﷺ مباشرة من قبل كفّار ومشركي مكّة، ولكن في مقابل هذا كلّه عامل النّبي ﷺ وأصحابه معهم معاملة الأمن والسّلام، حتّى اضطر هو ﷺ وأصحابه للهجرة من وطنهم إلى الأوطان الأخرى، لكنهم لم يرتكبوا قطّ أعمال العنف والشّدّة في أي مرحلة من مراحل حياتهم، بل قاموا بنشر المحبّة والود والأمن والسّلام في مجتمعهم، وهذا شيء لا نظير له في أي مجتمع غير المجتمع الإسلاميّ. وكذا عندما أسّس النّبيّ ﷺ أوّل دولة للإسلام ألا وهي دولة المدينة المنوّرة واجه من قبل أعداء الإسلام شتّى أنواع الأذيّة، ولكنّه لم يختر قطّ في جميع حياته المباركة طريق الظّلم والإرهاب، بل قام بعقد المعاهدات والمواثيق بينه وبين اليهود والنّصارى ومشركي مكّة حتّى يعيش هو وأصحابه وحتّى أعداءهم بالأمن والسّلام. فحياة النّبيّ ﷺ المكّيّة والمدنيّة هي نموذج عمليّ للوسطية والاعتدال، وهي مليئة بمظاهر الأمن والسّلام.

ففي مقالنا هذا نسلّط الضوء على النّظرة الدينية لفكر الإرهاب بصورة عامّة والإرهاب الدّولي بصورة خاصّة في ضوء السّيرة النبوية. ابتداء بتعريف الإرهاب وما يتعلّق به من أنواع الإرهاب وصوره وأساليبه، وخاصّة الإرهاب الدولي لأنّه هو صلب موضوعنا هذا.

تعريف الإرهاب:

أما بالنّسبة إلى تعريف الإرهاب فهناك وقعت تعريفات عديدة لهذه الكلمة، ولكن بالرغم من تعدّدها واختلاف منابعها ومصادرها، ومقاصد وأهداف كلّ تعريف منها، إلا أنّ جميعها تتّحد على كون الإرهاب عملا إجراميًّا يستهدف هدم أمنِ مجتمع ما وزعزعة استقراره. وكذلك يستهدف جميع أنواع الإرهاب تخريب الأمن والسّلم العالميّين. وفيما يلي نذكر أوّلا تعريف الإرهاب اللغوي والاصطلاحي.

الإرهاب لغة:

يقول ابن منظور الأفريقي: "رهب بالكسر يرهب رهبة ورهبا بالضّم ورهبًا بالتّحريك أي خاف ورهب الشّيء رهبًا ورهبًا ورهبة خافه والاسم الرّهب والرّهبيّ والرّهبوت والرّهبوتي ورجل رهبوت يقال: رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خير من أن ترحم وترهب غيره إذا توعده..."(1)

إنّ كلمة إرهاب مصدر للفعل الرّباعي أرهب يرهب. وأرهب فلانٌ فلانًا أي أخافه وأفزعه أي جعله خائفًا. كما يقول ابن منظور الأفريقي: "أرهبه ورهّبه، واسترهبه: أخافه وفزعه"(2).

إذن كلمة الإرهاب بالكسر هو: الإخافة والإزعاج، كما تقول العرب: "يقشعرّ الإهاب إذا وقع منه الإرهاب"(3).

ويقول عبد الله مطلق في هذا الصّدد ما مفهومه: "إنّ كلمة الإرهاب هي بالإنجليزية (Terrorism) وأصلها كلمة لاتينية (Terror). ومعناها: الخوف والفزع. وظهرت هذه الكلمة أوّل ما ظهرت في الفرنسية: (Terrorisme) وتعريفها الذي ورد في قاموس الأكاديمية الفرنسيّة هو كما يلي: المراد بالإرهاب الأعمال التي تقوم الدّولة بارتكابها، وذلك لأجل نشر الدّهشة والخوف والقلق بين المواطنين الأبرياء عبر الإجبار والإكراه واستخدام القوّة عن طريق غير مشروع."(4).

الإرهاب اصطلاحًا:

ويُعرّف الإرهاب اصطلاحًا بعدّة تعريفات أيضًا، منها: "إنّ الإرهاب عمل أو مجموعة من الأعمال العنيفة التي يرتكبها فرد أو مجموعة من الأفراد. وأنّ هذه الأعمال تقوم بعرض أرواح البشر البريئة للخطر وتهديد حريّات الأفراد الأساسيّة"(5).

إذن فالإرهاب هو جريمة شنيعة يرتكبها شخص ما أو عدّة أشخاص غير شرعيّين. ويلحقون أضرارًا بالنّاس، أو يخطفون أشخاصاً آخرين، أو يحاولون ارتكاب مثل هذه الأعمال الشّنيعة السيّئة. وعلمًا أنّ دين الإسلام لا يسمح لأيّ أحد باستخدام أشكال معيّنة من الإرهاب والعنف بصفة عامة ضد الآخرين، وبصفة خاصّة ضد المعصومين والأبرياء.

أنواع الإرهاب:

وممّا لا شكّ فيه أنّ الإرهاب له كثير من صور وأشكال، وتختلف أهدافه ومقاصده ونطاقه، ويختلف كذلك المتضرّرون من العمليات الإرهابيّة، ولكن هناك عدّة تقسيمات وتصنيفات وردت فى أنواع الإرهاب وأشكاله، فهناك نوع من أنواع الإرهاب يسمّى إرهاب دولة، وأخرى إرهاب فرد أو جماعة أو منظّمة، وهناك نوعٌ يسمّى إرهابًا محلّيًا، وإرهابًا دوليًّا وإرهابًا إقليميّا. ومن أهمّ تلك الأنواع ما يلى:

1 - **إرهاب الأشخاص أو الفئات أو المنظّمات الخاصّة:** يقول محمّد محيى الدّين عوض عن هذا النّوع ما خلاصته: "من أبرز أشكال هذا النّوع من الإرهاب الذى ترتكبه الشّركات والمشروعات، والذى يقع من قبل فئات وجماعات تقوم بأعمال العنف ضد فئات وجماعات أخرى منافسة لها، وذلك لأجل إرعابها وإفزاعها، والسّيطرة على الأسواق. وتستعمل هذه الجماعات الإرهابيّة القوّة والعنف ضدّ الحكومة، والسّلطات التّابعة لها، والمنفذة القانون، والتى تسعى أن تعرقل فى الفعاليات والأنشطة التى تقوم بها هذه الجماعات. وفى بعض الأحيان يكون سبب هذه الأعمال العنيفة شخصيّا محضًا فمثلا يقوم بهذه الأعمال شخص مريض نفسيّا أو يقوم بها شخص أو مجموعة من الأشخاص للحصول على الأموال."(6).

2 - **الإرهاب المحلّى:** يقول عبد الحفيظ عبد الله المالكى عن هذا النّوع ما خلاصته: "إنّ نطاق هذا النّوع من الإرهاب محدود فى حدود دولة ما، ولا يتجاوز فى أغلب الأحيان تلك الحدود. وأصحاب هذا الإرهاب لا تكون لهم علاقة بالقوى الخارجية. فيكون الذين يقومون بهذا الإرهاب والذين يصابون منه من نفس الدّولة. وربّما تكون الأسباب وراء هذا الإرهاب سياسيّة أو تجاريّة أو دينيّة أو جنسيّة أو غيرها من الأسباب."(7).

3 - **الإرهاب الإقليمىّ:** يقول شوكت محمّد عليان فى هذا الصّدد ما مفهومه: "هذا النّوع من الإرهاب يُعدّ الآن وبدون أىّ شكّ أحد حقائق هذا الزّمان الرّاهن، ولا شكّ فى أن دور الإرهاب الإقليمى قد أصبح مع مرور الزّمن يتعاظم بتقلّص المجال المتوفّر للحروب العادية التّقليديّة نتيجة لتوازن القوّة النّوويّة، والقدرة على القوّة التّدميريّة الهائلة للأسلحة النّووية والحربيّة. هذا ما كان بالنّسبة إلى أنّ الإرهاب فى المستوى الدّولى يعتبر مظهرًا من مظاهر الشّدّة السياسيّة فى عالمنا هذا. وأمّا

بالنّسبة إلى المستوى الإقليميّ فكان الإرهاب مسألة أقليمية ذات حدة. المسألة التى قامت بتغيير الظّروف الأمنيّة والسياسيّة فى كثير من بلدان العالم. وخير مثال لهذا النّوع من الإرهاب هو إرهاب دولة إسرائيل. فقيام هذه الدّولة هو كان بسبب هذا النّوع من الإرهاب. وما زالت هذه الدولة تقوم بانتشار هذا الإرهاب منذ قيامها غير العادل"[8].

4-الإرهاب الدّولى

المراد بهذا النّوع من الإرهاب هو استعمال الطّاقة والشّدّة عن طريق غير مشروع. ويقوم بارتكابه أفراد. أو دول ضدّ مؤسّسات، وهيئات، وسلطات تنفيذيّة. ويستهدف هذا النّوع من الإرهاب إرعاب أو إفزاع المواطنين الأبرياء لأجل تحقيق مقاصد وأهداف معيّنة، اقتصاديّة كانت تلك الأهداف أم سياسيّة، دينية كانت أم اجتماعيّة. علمًا أنّ هذا الإرهاب لا يكون دفاعًا عن الدّين أو النّفس، أو مقاومة العدوان والتّحرّر من الاحتلال[9].

فهذا نوع من أنواع الإرهاب الذى يقوم به فرد واحد أو أكثر أو دولة واحدة أو أكثر، له صور مختلفة منها: إرهاب دوليّ أحادى، فهو الذى ترتكبه دولة واحدة؛ ومنها: إرهاب دولى ثنائيّ، وهو الذى ترتكبه دولتان، ومنها: إرهابٌ دوليّ جماعيٌّ: وهو الذى ترتكبه مجموعة من الدّول؛ ومنها: أن يحدث هذا الإرهاب من قبل دولة واحدة ولكن بدعم من دول أخرى أو حلف من دول أخرى.

إذن هذا نوع من أنواع الإرهاب هو الذى تقوم به مجموعة من الدّول من خلال مجموعة من السّياسات الحكوميّة والأعمال، وذلك لأجل نشر الفزع والرّعب والقلق بين المدنيّين والمواطنين لإخضاعهم لطّلبات ورغبات الحكومة، وفى الدّول الأخرى لتحقيق المقاصد والأهداف التى لا تظنّ الدّولة أنّها تستطيع أن تقوم بتحقيقها بالوسائل المتاحة. إنّ الإرهاب الدّوليّ فى بعض الأحيان يكون فى داخل دولة ما لأجل المصالح التى تريد الدّولة تحقيقها. ولذا هذا النّوع من الإرهاب هو الذى يُوسم بالإرهاب القهريّ أو القمعيّ. وفى بعض الأحيان يكون هذا الإرهاب فى خارج الدّولة، وهذا هو الإرهاب الذى تقوم به القوّات العسكريّة لدولة ما ضدّ المواطنين الأبرياء لدولة معادية لها، ولذا يسمّى هذا النّوع من الإرهاب بالإرهاب العسكريّ أيضًا. أو يقوم رجال جيش دولة ما بتربية عسكريّة للفئات المتحاربة لدولة أخرى، بينها وبينها عداوة ونزاعات سياسيّة أو عسكريّة أو دينيّة أو غيرها من النّزاعات. وظلّ هناك دائمًا وجهان لتوضيح هذا النّوع من الإرهاب، وهما كالآتى[10]:

الوجه الأوّل: هو أنّه يرى هذا النّوع من أنواع الإرهاب لما تسبّبه الجريمة من خوف عامّ ورعب شامل، ومن حيث استعمال الإرهاب كأسباب وسائل من شأنها إحداث أخطار عامّة، وما ينتج منها من أضرار عامّة ليست بالنّسبة للمدنيّين أو المواطنين في دولة واحدة فقط، بل أيضًا بالنّسبة إلى كلّ المدنيّين الأجانب.

الوجه الثّاني: يقترب هذا الوجه إلى أكثر من تعيين وتحديد شكل ومفهوم الإرهاب الدّولي الذي نحن بصدده الآن، وذلك طبقًا لما يلحق بالمنافع والمصالح الدّولية من مفاسد وأضرار نتيجة للعمليات التّخريبية والإرهابية من خلال وجود عنصرين، أحدهما: لما كان القصد وراء الإرهاب إثارة القلق والاضطراب بين الرّوابط العالميّة، وثانيهما: لما اختلفت جنسيّات العمّال أو جنسيات الضّحايا أو المحلّ الذي ترتكب فيه الجريمة.

صور وأشكال الإرهاب الدّولي:

وممّا لا مراء فيه أنّ العمليات التّخريبيّة والإرهابيّة تشهد دومًا العديد من تطورات نتيجة لعوامل عديدة أهمّها: امتلاك التّكنولوجيا والتّقنيات الحديثة، وتقدّم الصّناعات العسكريّة والحيويّة، وعليك بعض صور هذا الإرهاب الذي نحن بصدده وأشكاله هي كالآتي:

1 - **الإرهاب النّووي:** يقول أحمد فلاح العموش ما مفهومه: "يهدف هذا نوع من الإرهاب إلى أن تمتلك المادات النّووية الخطيرة، وتهدّد بها بطريق غير شرعيّ وغير قانونيّ ضدّ المواثيق العالميّة. وتوجد من حوادث ووقائع لها علاقة مباشرة بهذا نوع من الإرهاب. فمثلا قيام الكيان الصّهيوني بسرقة كمّية المواد النّوويّة كما أكّدت هذا الشّيء جميع المؤشرات والدّلائل، وقيامه بممارسة الإرهاب النّوويّ يشير إلى هذا النّوع من الإرهاب. وفي هذا الإرهاب أيضًا يغتال العلماء والباحثون الذين يشتغلون في مجال الطّاقة النّووية. فهذا النّوع من الإرهاب هو أخطر أنواع الإرهاب لأنه يتسبّب في انتشار المواد النّوويّة."[11].

2 - **الإرهاب الإلكتروني:** يقول أحمد فلاح العموش في هذا الصّدد ما مفهومه: "يعتمد الإرهاب الإلكتروني على استعمال مقدرات أو إمكانيات الحاسوب في تخويف النّاس أو

إكراههم. فمثلا التّطرّق إلى حاسوب مستشفى ما لأجل التّغيير فى وصفات طبية لأحد من المرضى، وذلك للقضاء على حياته، وربّما تحقيقًا للثّأر. وهذه صورة حديثة للإرهاب فى زمن التّكنولوجية هذا. ويُعتبر هذا شكل من أشكال الإرهاب نمطاً حديثًا من الحروب التى لا تعتمد على استعمال الأسلحة والقوّات بل تستخدم التّقنيات الحديثة لتدمير أنظمة دولة ما، لذا يشهد إرهاب القرن الحادى والعشرين أشنع صور هذا الإرهاب»[12].

وصورة أخرى لهذا النّوع من الإرهاب هو إطلاق الفيروسات وذلك لأجل تدمير أنظمة المعلومات لشركة ما أو حكومة ما. وبسبب هذا النّوع من الإرهاب تضطرّ الشّركات والحكومات أن تسرف كثيرًا من النّفقات وذلك لصيانة أنظمتهم[13].

3 - **الإرهاب البيولوجىّ:** يقول عبد الرّحمن رشدى الهوارىّ فى هذا الصّدد ما مفهومه: «إنّ الأسلحة البيولوجيّة تأتى على رأس الأسلحة التّدميريّة الشّاملة. والفئات والجماعات التى تقوم بعمليات إرهابية قد تختار هذه الأسلحة للعمليات الإرهابيّة. وهذه الأسلحة سهلة الحصول لقلّة تكلفتها وسهولة إعدادها، لأنّها لا تحتاج إلى التّكنولوجيّة الحديثة. وهذه الأسلحة تعدّ سهلة الاستخدام أيضًا. فعن طريق وسائل الرّشّ أو نقل العدوى إلى الحشرات والحيوانات تتمّ عملية نشرها. وقد تستخدمها دولة ضد دولة أخرى معادية لإلحاق أضرار بشعبها وإحداث الخسارة الفادحة فى الطّاقات البشريّة ومنابع الثّروات النّباتية والحيوانية لها. وقد تحصل الجماعات الإرهابيّة على هذه الأسلحة من عدة طرق، منها: السّرقة والشّراء وغيرهما من الطّرق غير الشّرعيّة»[14].

4 - **الإرهاب الكيميائىّ:** يقول عبد الحفيظ عبد الله المالكىّ فى هذا الصّدد ما مفهومه: «إنّ المواد الكيميائيّة تحوى على غازات مهلكة مختلفة كغازات الأعصاب وغيرها من الغازات كالكاوية والخانقة ومثل غازات الجدم، والغازات السّامة المؤذية الأخرى. وقد يستطيع القائمون بالأعمال الإرهابية الحصول على هذه المواد الكيمياوية ثم استخدامها كأسلحة إرهابيّة، كما استخدمت هذه الأسلحة فى كلّ من سوريا والعراق وفلسطين وأفغانستان»**(15)**.

أساليب الإرهاب الدّولي:

هذا ممّا لا شكّ فيه أنّ أساليب العمليات الإرهابيّة ووسائل القائمين عليها متعدّدة، ووفقًا للأهداف المنشودة من تلك العمليات. وعليك هنا بعض تلك الأساليب:

1 - **التّفجيرات:** هذا الأسلوب من أهمّ وأشهر أساليب الإرهاب. ويتسبّب للخسارة الفادحة في الأهداف المنشودة. ويأتي هذا الأسلوب في الدّرجة الأولى من بين درجات أساليب الإرهاب الأخرى. وبعده يأتي أسلوب الهجوم، واختطاف الطّائرات، والاغتيالات، واختطاف الأفراد. وبعده تأتي أساليب أخرى للإرهاب (16).

2 - **الاختطاف:** من أساليب الإرهاب مطلقًا وعلى الخصوص الإرهاب الدّولي. ويوجد هناك أسلوب خاصّ للإرهاب يسمّى بأسلوب الاختطاف، وهو كما يقول أحمد فلاح العموش في هذا الصّدد: "احتجاز فرد أو أسره في مكان خفيّ، ويختطف عادة الرّجال المشهورون من الرّياضيّين، والخبراء من المهندّسين والأطبّاء الذين لا تكون لهم علاقة بالسّياسة. وذلك لتحقيق مقاصد وأهداف خاصّة. وفي أغلب الأحيان يكون الاختطاف لأجل الحصول على أموال. وقد تكون هذه الأموال في بليارات من النّقود، وتصل ربّما إلى الملايين من الدّولارات. وفي الماضي كان يختار هذا الأسلوب لأجل إطلاق أسارى من الإرهابيين والمتطرّفين وأصحاب الجرائم الشّنيعة الآخرين" (17).

3 - **الاغتيالات:** يقول سعد عبد الرّحمن الجبرين: "إنّ الإرهابيّين يعتمدون على هذا الأسلوب من الأساليب الإرهابيّة لتنفيذ مشاريعهم ومخطّطاتهم الشّنيعة، والاغتيال- كما هو معلوم- هو القتل العمد مع سبق الإصرار والتّرصّد. ويغتال عادةً الأشخاص الممتازون الذين لهم مكانة مرموقة في دولة ما، ولهم موقف خاصّ ضد الإرهابيّين. ويستخدم الإرهابيّون هذا الأسلوب لأجل إرسال رسالة إلى الزّعماء حتّى يكونوا على بيّنة من أنّهم لم يكونوا ولن يكونوا بحالة من الأمن حتّى ولو كانت السّلطة في أيديهم" (18).

ويقول محمّد عبد الله العميريّ: "هناك صور عديدة لعمليات الاختطاف إلى جانب اختطاف الأشخاص، ومنها على سبيل المثال: خطف وسائل النّقل الجوّية أو البحريّة أو البرّيّة. ويرجع الهدف

من وراء تلك العمليّات إلى إثارة رأى عامّة النّاس، وشدّ انتباههم إلى أنّ الخاطفين يقدرون على اختطاف كثير من مسافرى السّيّارات أو الطّيارات. كما أنّهم يستطيعون اختطاف الطّائرات أو السّيارات بسهولة ووسائل متوفّرة لفرد ما»[19].

4-**الأعمال التّخريبيّة:** يقول محمّد عبد الله العميريّ: "إنّ العمليات الإرهابيّة قد تأتى فى صورة أعمال تخريبيّة التى يقوم بها الإرهابيّون. ويمتاز هذا الأسلوب من أساليب أخرى للإرهاب لأنّه يتسبّب فى الخسائر الفادحة لممتلكات كثيرة لدولة ما أو ضحايا كثير من المواطنين الأبرياء. وهدف هذه الأعمال هو إفزاع المواطنين وتخويفهم أو زعزعة أمن دولة ما»[20].

ويقول محمّد عبد الله العميريّ أيضًا: "إنّ الأعمال الإرهابيّة تُعدّ من أشنع الجرائم التى تسبّب المشاكل وتعرقل فى محاولات الدّولة التى تقوم بها لأجل الترقية الاقتصادية والاجتماعيّة، حيث تركّز الدّولة وتنصبّ الاهتمامات على المجال الأمنيّ، وتنفق معظم وأكبر الميزانية سنويًّا لأجل القضاء على التّطرّف والإرهاب، وبذلك لا تقدر على الاهتمام بمشاريع الرّقى الأخرى. فنستطيع أن نقول بأنّ الأعمال التّخريبيّة هى عرقلة كبيرة فى تنمية دولة ما من النّاحية الأمنيّة، والعلميّة، والاقتصاديّة، والسّياسيّة. فيجب للدّولة القضاء على مثل هذه الأعمال الشّنيعة»[21].

فقد ذكرنا فى أعلاه تعريف الإرهاب لغة واصطلاحًا، وأنواعه، وأساليبه، وصوره وقد فصّلنا القول فى الإرهاب الدّولى خاصّة والآن نلاحظ النّظرة الدينيّة لفكر الإرهاب الدّوليّ فى ضوء السّيرة النّبويّة.

فمن ناحية الإرهاب الدّولى فى زمن النّبيّ a فلم يكن هناك نظام الدول بهذا الشكل الذى هو معروف فى زمننا هذا. ولا معنى هذا أنه لا توجد الدول آنذاك نهائيًا، بل كانت هناك الدول التى نقرأ ونسمع ذكرها فى السيرة النبوية المعطرة مثل دولة الشام واليمن والحبشة وغيرها. لكن الاعتداء الذى واجهه النبى ﷺ وأصحابه أكثر ما واجهوه هو كان من قبل أهل مكة. فهم كانوا أول وأكبر أعداء له ولدينه ﷺ، وكذلك بعض القبائل اليهودية التى كانت تعاديه. فنلاحظ ههنا فى ضوء السيرة النبوية أن النّبيّ ﷺ كيف أنقذ بحسن سياسته نفسه وأصحابه من دسائس، وعداوة، وظلم وتعدّى أهل مكّة والقبائل المعادية له ﷺ. فهناك كثير من نماذج فى السّيرة النّبوية لمعالجة ظاهرة الإرهاب

والغلو والتّطرف وتكريس التّسامح. فنستطيع أن نبيّن هذا الجزء المهمّ من موضوعنا في نقطتين، وهما:

أوّلا: خلقه ﷺ العظيم

نذكر هنا بعض آثار أخلاق النّبيّ ﷺ التي صدرت منه ﷺ في العفو والتّسامح والرّحمة والشّفقة وعدم الغلوّ والتّطرّف. فمن المعلوم أنّ رسول الله ﷺ كان ذا خلق عظيم لا مثيل لها، كما قال الله تعالى في حقّه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[22] وقالت أم المؤمنين عائشة لما سئلت عن خلق النّبيّ ﷺ: "كان خلقه القرآن."[23]. وروى عن أبي هريرة أنّ النّبي قال: "إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق"[24].

ومما لا شكّ فيه أنّ النّبيّ a يعدّ المثل الأعلى للعفو والتّسامح، والبعد عن التّطرّف والغلوّ، وكان ﷺ المثل الأعلى في الخُلق، وهو كما قالت السّيدة عائشة z في حقّه: كان خلقه القرآن. ويظهر هذا جليًّا في مواقف العفو، والسّماحة في حياته ﷺ لمّا أراد أعرابي بقتله حين رآه ﷺ نائمًا تحت ظلّ شجرة، وقد علّق سيفه عليها، فعن جابر ؓ: "كنّا مع النّبيّ ﷺ بذات الرّقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنّبي ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق النّاس في العضاه، يستظلّون بالشّجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلّق بها سيفه. قال جابر ؓ: "فنمنا نومة، فجاء رجل من المشركين، فاخترط سيف رسول الله ﷺ فقال: "أتخافني؟" قال: "لا". قال: "فمن يمنعك منّي؟" قال: "الله". قال جابر ؓ: "فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه فإذا عنده أعرابيٌّ جالس"، فقال رسول الله ﷺ: "إنّ هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا"، فقال لي: "من يمنعك منّي؟" قلت: "الله". فها هو ذا جالس"، ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ."[25]"[26]

وفي رواية أبي عوانة: فسقط السّيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: "من يمنعك منّي؟" قال: "كن خير آخذ". قال: "تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟" قال الأعرابي: "أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك"، قال: "فخلّى سبيله، فجاء إلى قومه"، فقال: "جئتكم من عند خير النّاس"[27]"[28]

وأمثلة عفو النّبي ﷺ وسماحته كثيرة، منها: عمله مع الأعرابي الذي جذب رداءه بشدّة فضحك ﷺ في وجهه وأعطاه ما طلبه منه، فروى عن أنس بن مالك ؓ، قال: "كنت أمشي مع النّبيّ ﷺ وعليه برد

نجرانی غليظ الحاشية، فأدركه أعرابیّ فجذبه جذبة شديدة، حتّى نظرت إلى صفحة عاتق النّبی ﷺ قد أثّرت به حاشية الرّداء من شدّة جذبته، ثم قال: "مر لی من مال الله الذی عندك"، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء"[29].

فهناك أمثلة كثيرة لسماحة النّبی ﷺ وعفوه، و كتب السّيرة والحديث مليئة بها، ولا يمكن لنا هنا إحصاؤها جميعًا، لكن الشّیء المهم الذی أريد أن أذكره هنا لكم هو أنّه لا بدّ لنا أن تظهر فی شخصيّاتنا صفة سماحته وعفوه ﷺ حتّى نسير على نهجه المستقيم، ونكون أسوة للآخرين، وممّا لا شكّ فيه أنّنا فی زمننا هذا أحوج إلى هذه الصّفة الخُلقية أكثر ممّا كنا أحوج إليها فی الأزمنة السّابقة. فعلينا أن نصبح نموذجًا عمليًّا للقيم الخُلقية السّامية ولا سيّما للسّماحة والعفو. فيكون لهذا الشّیء أثار إيجابيّة فی مجتمعاتنا الإسلاميّة. ولو تحقّق هذا الشّیء ويسود فی مجتمعاتنا فلن يقول أحد من أعدائنا بأنّنا متطرّفون أو متشدّدون أو إرهابيّون.

ثانيا: معاملة الرّسول ﷺ مع أعدائه

يجد الذی يمعن النّظر فی رسالته ﷺ أنّها صانت كرامة الإنسان وشرفه، وأعلت مكانته وقدره، وقد كرّم الله تعالى جميع بنی آدم؛ فقال تعالى فی القرآن الكريم: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[30]؛ فقد أعطى الإسلام كافّة النّاس الحقوق الإنسانيّة الأساسيّة، وإنّما يمتاز النّاس عند ربّهم بإيمانهم وتقواهم، وسيرتهم وأخلاقهم، وكم كان سيّدنا محمّد ﷺ حريصًا على إظهار هذا المعنى الإنسانی واضحًا جليًّا فی سلوكياته وتعاملاته مع أعدائه من غير المسلمين.

يقول ﷺ: "إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تُخلِّفكم"، فمرّت به يومًا جنازة فقام، فقيل له: "إنّها جنازة يهودی"، فقال: "أليست نفسًا"[31]. فأیّ تكريم لبنی آدم أكبر من هذا أو يسامی هذا؟!

وفی إحدى الغزوات وجد النّبی ﷺ امرأة مقتولة فغضب وقال: "ما كانت هذه لتقاتل"[32]، ونهى عن قتل النّساء والصّبيان، وكان إذا بعث بعثًا أو جيشًا أوصاهم قائلا: "لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليدًا[33]"[34]

وأمثلة حسن معاملته ﷺ مع الآخرين كثيرة، لا تُعدّ ولا تُحصى، منها: أنّه لمّا وصل المدينة، وسكن فيها قام بوضع الميثاق بين المسلمين واليهود، وهذا الميثاق يعرف بميثاق المدينة. والنّقطة المحوريّة لهذا الميثاق هو صيانة أهل المدينة من كلّ سوء. فهذا خير مثال للوقاية من الإرهاب الدّولى.

ومن إحسان النّبىّ ﷺ وسماحته وتعامله، معاملته الحسنة مع يهود خيبر، عندما ادّعوا أنّه كان من بين ما غنم المسلمون منهم عدّة صحف من التّوراة، فطلب اليهود من النّبىّ ﷺ ردّها، فأمر ﷺ بتسليمها إليهم، ولم يفعل ﷺ مثلما فعل الرّومان لمّا فتحوا بيت المقدس وقامو بإهراق الكتب المقدّسة فيها، ودوسها بأقدامهم ولم يفعل أيضًا مثل النّصارى الذين قاموا بإهراق صحف التّوراة فى الأندلس.[35]

ومن حسن معاملة النّبى ﷺ أيضًا الوفاء بالعهد ولو كان لعدوه. وفى رسل غير المسلمين أن لا يقتلوا ولا يحبسوا، كما هو ثابت أنّه ﷺ قال لرسولى مسيلمة الكذّاب لمّا قالا: نقول: "إنّه (أى مسيلمة) رسول الله": "لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما".[36] وثبت عنه أنّ النّبىّ ﷺ قال لأبى رافع، وقد أرسلته قريش إليه وأراد أن لا يرجع، فقال: "إنى لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن ارجع إلى قومك، ولم يرد النّساء، فإن كان فى نفسك الذى فيها الآن فارجع".[37]

ومن هديه ﷺ أنّ أعداءه إذا عاهدوا واحدا من أصحابه ﷺ على عهد بأنّه لا يضرّ بالمسلمين بغير رضاه أمضاه، كما عاهدوا حذيفة وأباه الحسيل أن لا يقاتلاهم معه ﷺ فأمضى لهم ذلك، وقال: "انصرفا نفى لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم".[38][39]

وفى غزوة بدر لمّا قام المسلمون بأسر سبعين رجلًا من المشركين قال رسول الله ﷺ للصّحابة: "استوصوا بالأسارى خيرًا" فانظروا إلى هذه المعاملة الحسنة حتّى مع الأعداء المحاربين الذين أرادوا القضاء على دين المسلمين فهو يقول لأصحابه: "استوصوا بالأسارى خيرًا".[40]

وانظروا أيضًا إلى ما فعله فضالة بن عمير بن الملوح الليثى الذى أراد قتله ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلمّا دنا منه ﷺ، قال النّبى ﷺ: "أفضالة؟" قال: "نعم فضالة يا رسول الله"، قال: "ماذا كنت تحدث به نفسك؟" قال: "لا شىء، كنت أذكر الله"، قال: فضحك النبى ﷺ، ثم قال: "استغفر الله"،

ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: "والله، ما رفع يده عن صدري حتّى ما من خلق الله شيء أحبّ إليّ منه"[41].

وانظروا إلى تعامله ﷺ العظيم في فتح مكّة مع مشركي مكّة، لمّا قال ﷺ: "يا معشر قريش، ما ترون أنّي فاعل بكم؟" قالوا: "خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم" قال: "اذهبوا فأنتم الطّلقاء"[42].[43]

فعفى النّبيّ ﷺ عنهم جميعًا بعد أن أعطاه الله تعالى القدرة عليهم، فضرب تعامله ﷺ ذلك مثلا في التّسامح والعفو والصّفح على المجرمين الجانين بعدما تمكّن منهم.

وشدّد نبيّنا ﷺ، كما في أحاديث كثيرة، على أصحابه في الحقوق المتعلّقة بالمُعاهد، فمنها: مثلا قول النّبيّ ﷺ: "من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنّة، وإنّ ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا"[44]

ومنها: قول النّبيّ ﷺ: "ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة"[45]

وكذلك نهى النّبيّ ﷺ إلحاق ضرر بأيّ شخص أو تعذيبه، ولم يشترط فيه الإسلام فقال: "إنّ الله عزّ وجل يُعذِّب الذين يعذبون النّاس في الدّنيا"[46].

فقام سيدنا رسول الله ﷺ بإعطاء الأمن والسّلام لغير المسلمين من اليهود والنّصارى والمشركين، وحفظ نفسهم، فلا يستطيع أحدٌ من المسلمين أو غيرهم أن يلحق بهم الأضرار ما داموا في ذمّة الإسلام والمسلمين.

فخلاصة الكلام أنّه من يطالع سيرة النّبيّ المكرم ﷺ وسنّته يبتعد عن التّطرّف والإرهاب. ويعيش ويدع النّاس يعيشون بالأمن والمحبّة والسّلام. ويؤمن بالحوار مع الآخرين ويدعو إليه. ويحاول إلى تبادل الآراء ووجهات النّظر في حلّ جميع مشاكل الحياة.

واتّضح ممّا مضى أنّه لا علاقة الإرهاب بالإسلام ولا بتعاليم النّبي المكرّم ﷺ. والذين يستخدمون اسم الإسلام لنشر آرائهم المتطرفة لا علاقة لهم أيضًا بالإسلام. وهم خارجون عن دائرة الإسلام

حوالهجات

(1)ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، 436:1

(2)المرجع نفسه.

(3)المطلق، عبد الله ، الإرهاب وأحكامه في الفقه الإسلامي، تقديم: سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله آل الشيخ، والدكتور صالح بن عبدالله بن حميد، الطبعة الأولى، 1431، دار ابن الجوزي، الرياض، 115-117.

(4)المرجع نفسه، 119.

(5)الترتوري، محمّد عوض، وجويحان، أغادير عرفات، علم الإرهاب الأسس الفكرية والنّفسية والاجتماعيّة والتربوية لدراسة الإرهاب، الطبعة الأولى، 2006م، مطابع الحامد، عمان، 35.

(6)عوض، محمد محيي الدّين، واقع الإرهاب واتجاهاته، بحث مقدّم إلى أعمال ندوة مكافحة الإرهاب، بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006م، الرياض، 86-87.

(7)المالكي، عبد الحفيظ عبد الله، نحو مجتمع آمن فكريًا: دراسة تأصيلية واستراتيجية وطنية مقترحة لتحقيق الأمن الفكري، الطبعة الأولى، 2010م، مطابع الحميضي، الرّياض، 161.

(8)عليان، شوكت محمد، الإرهاب المفروض والمرفوض حقيقته - أسبابه - علاجه، 2008م ، دار العليان للنشر والتوزيع، عمان، 162-163.

(9)أبوعين، جمال زايد هلال، الإرهاب وأحكام القانون الدّولي، الطّبعة الأولى، 2009م، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، 37.

(10)اعليان، شوكت محمد، الإرهاب المفروض والمرفوض حقيقته - أسبابه - علاجه، 163-164.

(11)العموش، أحمد فلاح، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، بحث مقدم إلى أعمال ندوة مكافحة الإرهاب، 1999م ، بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 112-113.

(12)المرجع نفسه، 89-90.

(13)المالكي، عبد الحفيظ عبد الله، نحو مجتمع آمن فكريًا، 254.

(14)الهواري، عبد الرحمن رشدي، التعريف بالإرهاب وأشكاله، بحث علمي مقدم في ندوة "الإرهاب والعولمة"، منشور ضمن أوراق عمل النّدوة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2002م، الرياض، 60.

(15)المالكي، عبد الحفيظ عبد الله، نحو مجتمع آمن فكرياً، 252.

(16)العموش، أحمد فلاح، مستقبل الإرهاب في هذا القرن، الطبعة الأولى، 2006م، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرّياض، 78.

(17)المرجع نفسه، 81

([18])الجبرين، سعد عبد الرّحمن، الإرهاب الدّولي، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1989م، الرّياض، 35

([19])العميري، محمّد عبد الله، موقف الإسلام من الإرهاب، الطبعة الأولى، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2004م، الرياض، 70-71

([20])ايضاً، 74-75

([21])المرجع نفسه، 77

([22])القلم، 4:68

([23])النسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب، السّنن الصغرى، مكتبة مطبوعات الإسلامية، حلب، 2018م، رقم الحديث 1601.

([24])أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشّيباني مسند، الطبعة الأولى، 1421ھ/2001م، ، الحديث رقم: 8952، 14:512

([25])البخاري، محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري، الصحيح، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422ھ، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، الحديث رقم: 4134، 5:11

([26])صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ملتقى أهل الحديث، :349

([27])أخرجه أحمد في مسند جابر بن عبد الله، رقم: 14929، 23:193

([28])صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، :349

([29])البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي، الحديث رقم: 3149، 4:94

([30])الاسراء، 17:70

([31])البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، الحديث رقم: 1312، 2:85

([32])أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، السنن، الطبعة الأولى، 1430ھ/ 2009م، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، الحديث رقم: 2669، 4:303، 304

([33])، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسلم ،الصّحيح، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2008م كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم الحديث : 1731، 3:1357

([34])أبو شهبة، محمّد بن محمّد بن سويلم، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم ،دمشق، الطبعة الثامنة، 1427ھ، 2:629

([35])المرجع نفسه، 2:419.

([36])أحمد بن حنبل، مسند، الحديث رقم: 3761، 6:306

([37])ابن قيم الجوزية، مختصر زاد المعاد، :203.

(38)مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد، رقم الحديث: 1787، 3:1414 وأخرجه ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، باب غزوة بدر الكبرى ومتى كانت وأمرها، الحديث رقم: 36714، 7: 363

(39)انظر ابن قيم الجوزية، مختصر زاد المعاد، :131.

(40)ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السّقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1375هـ/1955م، 1:645.

(41)المرجع نفسه، 2:417.

(42)البيهقي، السنن الكبرى، رقم الحديث:18275، 9: 199

(43)ابن هشام، السيرة النبوية، 2:412

(44)البخاري، ا الجامع لصحيح، كتاب الديات، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم، رقم الحديث: 6914، 9:12

(45)أبو داود، السنن، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، الحديث رقم: 3052، 3: 170

(46)مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، الحديث رقم: 2613.